تأثير اللغة العربية في إفريقيا

الاستاذ محمد مختار سيبي

هذا الموضوع الذى اريد ان اتطرق اليه موضوع جديد ومهم للغاية بالنسبة للرسالة القيمة التى تبذل مجلة « اللسان العربى » كل الجهود لتحقيقها · ولم ار من تعرض للكتابة فيه الا ما كان من شذرات قليلة كان شيوخنا واساتذتنا يزودوننا بها اوقات التدريس والتعليم على وجه الاستطراد لفت الانظار (1) ·

وانه لموضوع واسع لا اريد فى هذه العجالة استقصاءه ؛ وانما افتح الباب على مصراعيه فتحا يعرف القارىء به مدى انتشار لغة الضاد فى القارة الافريقية السوداء ؛ وكيف باضت فيها وافرخت . وكيف امتزجت مفرداتها بلغات الشعوب المسلمة فى القارة امتزاجا ؛ واثرت فيها تأثيرا ملموسا ·

وارانى وان ذكرت افريقيا على وجه التعميم . سأقتصر فى بحثى المتواضع هذا على بلادى الجمهورية السينغالية وعلى لغتى « ولوف » التى تعتبر اللغة الوطنية فيها . والتى يتكلم بها عدد عديد فى موريطانيا وغينيا ومالى وغامبيا وغينيا بيساو · وذلك لأشخص الموضوع على مقربة منى واصورها تصويرا تاما ·

مع علمى الأكيد بأن التأثير اللغوى الذى تم بين اللغة العربية واللغة الولوفية فى السينغال لم يتوقف على اللغة الولوفية وكفى . ولا على السينغال فحسب ؛ وانما شمل جميع اللغات فى جميع الأقطار الافريقية التى اعتنق اهلها الاسلام ودانوا به ·

لانه فى الحقيقة نتيجة احتكاك دينى منتشر وثقافى طويل عبر القرون والأجيال ·

اما السينغال على وجه التخصيص فقد دخله الاسلام منذ قرونه الاولى . واعتنقوه عن طواعية

(1) بعد انتهائى من التحرير لمحت فى فهرس المجلة من العدد الاول الى التاسع فاذا بعنوانين لمقالتين كلتاهما تتعلق بنفس الموضوع الاول : اللغة الولوفية بالسينغال لشيخ الاسلام العالم الكبير الحاج ابراهيم نياس فى الجزء السادس · والثانى : تأثير العربية فى السينغال للمسلم الغيور المرشد المخلص الاستاذ مالك نجاى فى الجزء الثامن · وانا لم اكن — مع حرصى على ابحاث المجلة — تمتعت برؤية الاعداد الاولى الى التاسع

منهم ورغبة ، ومحبة فيه واقتناع ، بدون انذار أو تهديد مسبق ، وبدون معارك تذكر الا قليلا ·

وانما على يد المصلحين الابرار الذين يعتمدون فى جهادهم ودعوتهم — وفق الظروف المحيطة — على تنظيم حلقات الارشاد والوعظ والذكر والمناقشة الحرة والمجادلة بالتى هى أحسن ··· اكثر مما كانوا يعتمدون على سل السيوف واعمال السمهريات ·

وعلى يد بعض شيوخ الصوفية المخلصين ، والتجار المغاربة الذين كانوا يجتازون نهر السينغال فى طريقهم الى جنوب القارة ، والذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة ·

على يد هؤلاء واولئك — لاسباب ومقدمات يضيق المقام عن ذكرها هنا — آمنوا بربهم واعتنقوا الدين الاسلامى الخالد ، وانذابوا فى بوتقة عقيدته طائعين ، واخلصوا دينهم · واقبلوا على تعلم كتابه العزيز ، ولغته الفصيحة ، واقاموا كثرة كثيرة من الكتاتيب والمدارس والمجالس العلمية الفقهية منها والادبية · حتى عمت البلاد والمدن والقرى ، وطبقت الأرجاء الى حد اصبح من شبه المحال العثور على مسلم امى لم يتزود بأقل قليل من القراءة والكتابة ·

وحين جاء الاستعمار الفرنسى الى البلاد كانت اللغة العربية هى اداة التفاهم الوحيدة بينه وبين الاهالى ، وكانت الرسائل المتبادلة بين ابطال الكفاح الوطنى المرير أمثال : لاتجورجوب فى « كجور » وهالبورى نجاى فى « جلوف » ، ومباه جاغو ، وابنه سعيدمت ، ومريده بران سيسى ، وبين الاستعمار البغيض تكتب حتما بالعربية ·

والقصائد العربية الرنانة التى صيغت فى انتصارات هؤلاء الابطال وفى تشجيعهم معجبة للغاية واسلوبها قوى وخلاب يدل على براعة اهلها وتفوقهم الادبى (1) ·

والرحلات العلمية الشاقة الطويلة التى قام بها الأجداد ، ومن بعدهم الأبناء والاحفاد الى المغرب العربى ، والى موريطانيا ، والى الحرمين الشريفين عن طريق السودان ومصر ، لاداء فريضة الحج وزيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة ، وللاخذ عن العلماء والصالحين وتقسيمهم غنيمة اسفارهم بين ذويهم واهلهم كل هذا كان يفتح ابوابا واسعة فى الصلات الثقافية والعلمية ويكون تجاوبا لغويا يعلو صداه بين ابناء الشعب المسلم ·

لهذه الاسباب ولأسباب أخرى نتجت من الاحتكاك الطويل عبر التاريخ كان حتميا عليهم ان يضطروا الى ادراج كثير من المفردات العربية وافكارها فى مخاطباتهم الشعبية ، وفى احاديثهم فى النوادى بعد ان تعودوا استعمالها فى الاوساط الدينية والثقافية تلقائيا من الجو الاسلامى السائد · حتى امتزجت كلمات عربية خالصة فى لغتهم ، وتمكنت فى السنتهم ، واصبح من لايعرف العربية منهم لايجد بدا من ان يعتقد اصالتها فى لغتهم ·

هذا وامتزاج لغة القرآن وتأثيرها فى اى لغة من لغات الشعوب المسلمة فى القارة عمل سهل بسيط وعفوى ايضا ، فهم يكنون للأسلام ولنبى الاسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حبا شاملا ينبثق من ايمانهم العريق ، ويتناول جميع مقومات الاسلام وملابساته وتصوراته وشعائره وقيمه ·

وطبيعى لهذا الحب الشامل ان يوجب على الغالبية العظمى منهم ان ينظروا الى اللغة العربية بعين الرضى ، وان يجدوا فى استعمالها دواعى ايجابية ملحة لا مناص من تلبيتها ·

لهذا وذاك اثرت فيهم اللغة العربية ·

---

(1) منها قصيدة الشاعر الأديب القاضى ماجاخاتى كاله فى البطل الشهير « لاتجور » أمير « كجو ر »

بشرى فقد شاد دين الله « لتجور »
تروع افئدة الاعدا كتائبه

واحيا اليوم بالاسلام « كجور »
كأنهم غنم بالاسد مذعور

وهل ترى ناديا فيه تمر به
فليدخل الناس طرا فى طريقته

الا ويسمع تهليل وتكبير
طوعا والا فسيف الموت مشهور

تلقاه يأمر بالمعروف عسكره
على مقال الاعادى لايزال لنا

كأنه جاء من ربه نور
ملك وهل قيلهم الا اساطير

واستعملوها عموما ، وان كانوا على اختلاف فى التقليل والتكثير ، وفى الطرق التى يستعملون بها اللغة العربى .

أما فيما يخص لغة ولوف التى يدور حولها البحث فان استعمالها للفظ العربى يأتى على قسمين : فتارة يستعملونه بدون تغيير جديد يطرىء استعمالا عاما فى الأوساط الثقافية والدينية والشعبية فى حين أنهم لايزالون يحتفظون بلفظهم المرادف له نحو ما فعلوا فى الكلمات التى تعبر عن مصطلح علمى أو دينى او شىء له صلة بالالاهيات ، وهذا القسم واسع ، ولا آتى منه الا ما له تعلق بالقسم التالى .

وطورا يعمدون الى اللفظ العربى فيأخذونه ويصهرونه فى قوالب لغتهم ، فيحذفون ويثبتون ويبدلون ما راوا ابداله كما يحلو لهم ويوافق طبيعة لغتهم حتى اذا طاوعهم اللفظ صبغوه بصبغتهم واخرجوه من هذا المعمل اللغوى ، واقتصروا عليه وتناسوا كلمتهم واخيرا يصير نسيا منسيا ومن هذا القسم غالب ما سأذكره فى المعجم الذى اريد تقديمه للقارىء الكريم .

ولكنى قبل الدخول فى المعجم ارى من اللازم على ان ابين هنا :

اولا — ان التشابه اللفظى دون المعنى لايعطى الدلالة الصادقة على ان هذه الكلمة عربية الأصل بل لابد ان يؤيدها التشابه المعنوى .

ثانيا — ان باب الابدال متسع اتساع اللغات نفسها ولا سيما فى الألفاظ المتبادلة بين الشعوب المختلفة .

ثالثا — ان مخارج هذه الحروف العربية « ز ص ض ث ذ ظ » لا وجود لها اصلا فى لغة (ولوف) فاذا وجدت فى كلمة فلا بد من ابدالها ، ولهم ايضا مخارج نطق لا يعرفها العربى الاصيل رغم انهم — لمرونتهم — قد اخضعوا الهجاء العربى للتعبير عنها .

رابعا — الغالب فى الكلمات العربية المستولفة أن يحذف منها حرف او اكثر ، وهذا الحذف لا يخضع لقاعدة راسخة لاتختلف ، فتارة يكون فى اول الكلمة كما فى « تل » من عتل ، وآونة فى آخرها مثل ما فى « تل » من تلب . الا ان يكون المحذوف حرف حلق فيبدل بحرف علة مناسب نحو : نام من نعم ، ودرا من درع :

ودونك مجموعة من الكلمات العربية المستولفة ا ، المستعملة فى لغة « ولوف » غير مستقص لها كما قلت سابقا ، وبجانب كل كلمة معناها المراد بها عندهم ، دون التفات الى معنى اصلها العربى ، فقد تتحدان ، وقد تختلفان اختلافا ما . كما سأذكر معها اصلها العربى ان خفى وارجو المسامحة اذا تعسرت قراءة بعض الكلمات .

(حرف الألف)

آلآخرة : يوم الآخرة
أبدا : ثابت دائم
الدن : الحياة الدنيا
الو أوحلو : اللوح
الد : يوم الاحد
التن : يوم الاثنين
تلاث : يوم الثلاثاء
آلارب : يوم الاربعاء
الخميس : يوم الخميس
آجم : يوم الجمعة
اسث او اسر : يوم السبت
أن : أين

(حرف الباء)

بار سوج : المطلقة ثلاثا من بعد زوج
بطاقل : الرسالة ، الوثيقة من البطاقة
بدا : البدعة
براده : اناء صغير لطبخ الشاى
برك : البركة والنماء
بلا : مشقة وبلا
بغل : حيوان معروف
بهائم : كل ذات اربع قوائم ، البليد الاحمق
بيول : البول

(حرف التاء)

تارخال : العنوان ، التبيين ، التاريخ

تأليف : جمع اقوال أو اختلاقها
تسكر : عقوبة عاجلة قاسية لا تنسى من التذكار
تقـل : الانتقال من التنقل
تك : القبض القبضة من التكة ج · تكك رباط السراويل
توب : الاقتفاء من طبع أو تبع

(حرف الجيـم)

جالاب : جلباب
جاو او جو : الجـو
جب : الجيـب
جافران : زعفران
جـل : الصلاة من صل ابدلوا الصاد جيما
جلم : اداة من حديد تستعملها نساؤهم لنقش القطن وندفه من جلم يجلم جلما اذا قطع
جمراى : الجمرات
جمن : الزمـن
جن : الجنـى
جـه : الجبهة

(حـرف الحـاء)

حاج : المهم من الحاجة
الحاجة : الغائط من قولهم قضاء الحاجة
حاق : التباعة من الحـق
جبسل : التحبيـس
حـرم : الحريـم

(حرف الخـاء)

خبار : نبأ سار عجيب من الخبر
خـر : الخروف ومثل هذا بالقطعة بضم القاف فى لغة طى ، وهى قطع اللفظ قبل تمامه ، يقولون يابا الحكا يريدون يا ابا الحكم ، ويقولون لم يسما يريدون لم يسمع · والقطعة ترد على كل كلمة حرفا كانت ، أو فعلا ، أو اسما ويكون حرفا واحدا أو اكثر قال الشاعر :

درس المنا بمتالع فأبان
فتقادمت بالحبس والسوبان

ا ، المنازل
خلف : الخليفة

(حرف الـدال)

دا : او دح : الحبر ، المحبرة من الدواة
دائما : ثابت متكرر
داب : الدابـة
دام : دم الحيض أو النفاس
درا : القميص الواسع الفضفاض من الدرع
درج : المكانة ، الشخصية ، وربما يعنون به الجمال فى المراة اذا أرادوا الكناية أو التستر
درم : درهـم
دليل : المركز المستدل به على وجود شىء ما من الدلالـة
ديـن : ما يتعبد به حقا او باطلا
ديوان : كتاب تجمع فيه قصائد شعر ، الاقليـم المقاطعة ، مكتب الرئاسة

(حرف الـراء)

راى : العلم من الراية
ربا : الزيادة فى الربح على وجه محرم
راكبل : التركيب

(حرف السين)

سـا : الساعة
سار : الموقف من السورة
ساكر : عضو التناسل للرجل من الذكر
ساكر : الخمر من سكـر
سب : البكور من الصبح
سبب : العلـة
سجاد : الطنفسـة
سـخ : الثبات من رسـخ
ستر : الستـر
سدق او سرق : الصدقة
سطل : اناء صغير له عروة يتوضا به وسواء كان الاصل فارسيا أم لا ؟ فهم انما اتاهم من العرب
سوف : الكرة الارضية ، التراب ، الادنى من كل امر
سوف بتخفيف ضم السين : الحقارة من السفساف
سياره : الزيارة
سياقل : الزخرفة أو صناعة الحلى من الذهـب والفضة من الصياغة

(حرف الشيـن)

شرا : الزيادة فى الاقوال ، لكذب او لايضاح من الشرح
شـرط : الالتـزام

شغل : الحاجة ، المهم ، العمل
شك شك : التشكك
شيطان : كل عات متمرد من جن او انس او دابة او غير ذلك

(حرف الطاء)

طالب : طالب العلم ، الفقير الصوفى ، المتزمت فى دينه ،
طبخ : البناء صناعة الخزف من الطبقة او الطبيخ
طبل : الآلة المعهودة

(حرف العين)

عاد : العادة
عد : من اعتدت المراة عدة ، ولا يستعملون الكلمة العربية الا فى المعتدة من الطلاق او الفراق
عور : المكتوم مطلقا من العورة

(حرف الغين)

غرم : الأريحى الماجد الذى لايبالى كم ومن اعطى من الكرم
غور : الوادى من الغور

(حرف الفاء)

فات : الفوات
فات : الموت من الوفاة
فاسق : المجاهر بالمعاصى
فايد : الحزم والعزم من الفائدة
فتنه : المشقة
فجر : الساعة الاخيرة من الليل
فداء : دعوات تقرا لفداء الميت من العذاب
فرت : الواجب من الفريضة
فصل : التفصيل
فن : المادة ، النوع ، الطريق

(حرف القاف)

قب : الجامع ، العمارة الكبيرة من القبة
قبر : الضريح
قبول : المحبة ، والكلمة المسموعة
قصة : الحكايات
قضيدة : ابيات من الشعر
قل : القلب
قل : العقل
قلب : القلم
قيل قال : القيل والقال

(حرف الكاف)

كاس : الكأس
كافر او كيفر : الكفر
كامل : المصحف
كب : سماكة البناء وضخامته من الكعبة
كد : القامة الطويلة من القد
كذا وكذا : كناية عما لايذكر تأدبا ، او كثرة ، او استخفافا ، او ما الى ذلك
كسارة : الخسارة
كلف : الزعيم
كلف مكلف مسكلف : البالغ العاقل او الرجل ذو المروءة
كول : الشاعر يمدح الناس ويذمهم ليعطى
كيس : ما يستعمل لزيادة الذكاء والفهم من الكيس والكياسة ،

(حرف اللام)

لر : الضر ابدلوا الضاد لاما وهو كثير عندهم وله اصل فى اللغة الفصحى وان كان شاذا، ونسبوا لمنظور بن حيبة الاسدى يصف ذئبا :

لما راى ان لادعة ولا شبع
مال الى ارطاة حقف فالطجع

قال العينى فان اصله اضطجع فابدل الضاد لاما وهو شاذ . من شرح الشواهد للعينى
لغ : اللغة
لكه : اللجة

(حرف الميم)

مان : القيمة ، المقصود من المعنى
مثال : النظير
مختم : الكناشة او تميمة كبيرة كانه مفعل من ختم الكتاب اذا كتمه
مصلا : المصلحة
ملاك : الملك

(حرف النون)

ناغه : الناقة
نافيق : المنافق

نام : كلمة تجاب بها المنادى بمعنى لبيك من نعم
نسخ : الاضمحلال ، خفة الحال أو المرض
نن او جن : نحـــن
نـــود : الآذان للصلاة من النـــداء
نوت : الخريف من النوء

(حرف الهـــاء)

هاتف : ما يسمعه الاولياء والانبياء من الغيب
هب : من هب الريح يهب هبا
هت او ات : الساحة من العتبة
هلك : الهلاك
هدى : الهديـــة

هى : الاستجابة من حى هلا بمعنى اقبل واسرع

(حـــرف الـــواو)

ورسك : الرزق
ورغـــه : الشاى من الورقـــة
وقت : الساعة
وقف : ترتيل القرآن من وقف القارىء
وقفل : الوقف : الحبس
وكيرل : التوكل من الوكيل

(حرف اليـــاء)

يـــال : اسم الذات الواجب الوجود واصله ياالله
يوم القيام : يوم الجزاء ·